

الفصل الثامن

الرئيس فؤاد شهاب الانسان .

عاصر فؤاد شهاب وصول عدد كبير من الضباط العسكريين الى السلطة : ففي العالم، وصل الى السلطة مصطفى كمال اتاتورك في تركيا سنة ١٩٢٣، وفرنسيسكو فرانكو، بعد حرب أهلية في اسبانيا سنة ١٩٣٩، وشارل ديغول في فرنسا سنة ١٩٥٨ . وفي المنطقة العربية، محمد نجيب وجمال عبد الناصر في مصر سنة ١٩٥٢، وعبد الكريم قاسم في العراق سنة ١٩٥٨، وعرفت سورية كذلك انقلابات عسكرية مختلفة، كانت بدايتها مع اللواء حسني الزعيم سنة ١٩٤٩ .

الرئيس اللواء فؤاد شهاب، لم يصل الى السلطة بانقلاب، وقد كان ذلك بمقدوره، وفي متناول يده لو أراد، بل وصل الى الحكم كما الكبار، بالوسائل الشرعية والديموقراطية، فقد كان يرفض دائماً ان يتجاوز الدستور، لانه عسكري، واجبه يقضي بحماية الدستور والمؤسسات والخضوع للسلطة السياسية .

جنرالان، فؤاد شهاب وشارل ديغول، تجوز المشابهة بينهما، الاول جاء لبناء دولة وتحديثها بعد ثورة، والثاني جاء لانقاذ فرنسا من الاحتلال، واعادة بناء مؤسساتها بعد حرب . والاثنان وصلا الى السلطة بشرعية، ومن خلال ممارسة الدستور والديموقراطية .

وفي تاريخ لبنان الحديث، لم يطلق من الالقاب والتسميات، على حاكم او رئيس قدر ما أطلق على الرئيس شهاب وعهده، فهو : الأمير، واللواء، والرئيس، والصامت، والصامت الاكبر، والناسك، والزاهد، والمتقشف، والمعلم، والمدرسة، والنهج، والجنرال، والرئيس السابق، والرئيس اللاحق، والرئيس العائد، والرئيس الباقي، ومؤسس الجيش، وابو الجيش،

ورائد العدالة الاجتماعية، ورائد الانماء، والمحسن الكبير، وباني الدولة والوحدة الوطنية...
فؤاد شهاب لم يبدل مسكنه في جونه، وكان يقول في مجالسه الخاصة عندما يسألونه
لماذا لا ينتقل الى قصر فخم، ولماذا لا يأمر بانهاء القصر الجمهوري الجديد في بعبداء
ليسكنه، كان يقول لسائله : كيف أسكن قصوراً فخمة، وهناك لبنانيون ينامون في
العراء!

فؤاد شهاب مدخن من الطراز الاول، دخانه وطني، يدخن ثلاث علب «يننجه» في
اليوم، يدفع ثمنها من جيبه الخاص، وهو لا يحب ان يحمل النقود في جيبه، ولم يغير
سيارته الخاصة «باكار» موديل ١٩٤٤، بينما ثلاثة ارباع النواب ورجال السياسة، كانوا
يواكبون سير موضة السيارات موجة وراء موجة. وهو انيق الماكل، انيق الملبس، انيق
العبارة... وانيق في اختيار ربطات عنقه، واحب الهوايات اليه، قراءة كتب التاريخ،
والكتب التي تبحث في الشؤون العسكرية، والحافلة بها مكتبته في المنزل... وفي اوقات
الفراغ، استعادة قراءة مقالاته التي كان يكتبها بالفرنسية لمجلة «الشرق العسكري»
ويترجمها الى العربية لويس الحاج. وهذه المقالات كانت تتحدث عن دور سلاح المشاة في
الجيش، وكان يوقعها باسم «كولونيل شهاب».

فؤاد شهاب لم يكن يحب السفر في الطائرة كان يكره مغادرة لبنان، حتى الى مؤتمر
القمة العربي لم يذهب، كان يحب العيش في بيته وحديقته ووراء مكتبه، والتأمل في جبل
حريصا.

كان انساناً متديناً، يفتح نهاره وينهيه برسم اشارة الصليب، ويروي عنه الخوري يوسف
ابي صعب الذي لقبه بكاهن الجيش : « كان الرئيس شهاب من اشد الناس تديناً وورعاً،
يلوذ بحمى الله والعذراء سيده لبنان، وكان يحضر مع قرينته صلوات اسبوع الآلام وخميس
الاسرار، وكانا يطوفان على سبع كنائس في قرى كسروان تعبداً وتبركاً (١).

١ - مخطوط المؤرخ الخوري يوسف ابي صعب، ومما ذكره الخوري ابي صعب : « ان القديسة تيريزيا كان لها محبة
خاصة في قلب الرئيس شهاب، فعندما طلب منه ان يساعده في بناء تصويينة لساحتها وعمل بنوكة والجسر
الخشبي للجسر، اشترى الرئيس شهاب من ماله الخاص الخشب اللازم واوعز الى الزعيم السمراني، ان يشغل
البنوكة في مصالح الجيش ويبعث من يصلح الجرس وغيره في الكنيسة في الفياضية. »

الرئاسة لم تمنع فؤاد شهاب من ان يبقى متديناً، وكان كاهنه المقرّب، الخوري انطون الحداد رئيس بلدية غزير والمسؤول عن القسم العربي في الفرير ماريست آنذاك ؛ ويحب ان يقرأ جريدة « لاکروا » الفرنسية وغيرها من المجلات الدينية .

كان الرئيس شهاب محسناً كبيراً، ويوزع على الفقراء شهرياً من ماله الخاص، وحتى بعد انتهاء مدة رئاسته، كان يقوم بالتوزيع سائقه طنوس نعيم وبشكل سري، غير علني، ومن مآثره المعروفة في جونه تبرعه بساعة قبة الكنيسة في سيدة الوردية في غادير .

ومما يرويه الرئيس سامي الصلح في مذكراته (١) وهو من اعداء الشهابية : « كانت صداقة قديمة تربط بيني وبين فؤاد شهاب أصابها شلل بسبب طبيعة الظروف التي مرت على البلاد . وعندما علم فؤاد شهاب من خلال التقرير الصباحي اني ابيع ممتلكاتي لاعيش، وقد بعث فعلاً بيتي في المنصورية استفسر للحال عن تطور قضية تعويض لقاء هدم بيتي في برج ابي حيدر فقيل له، انها تغط في ادراج الدوائر المختصة . فتدخل بمبادرة شخصية لانهاؤها قائلاً : « ان الوحيد الذي ظلم فعلاً من كل ما حدث هو سامي الصلح، ولا يجوز بعدما اتضحتم امور كثيرة معاملته بهذا الشكل » وما ان بلغني الأمر صديقي بيار الجميل وزير المالية الذي أمر بصرف التعويض المحكوم لي به من شوري الدولة، حتى قمت بزيارة فؤاد شهاب وشكره على بادرته . »

ويقول الرئيس سامي الصلح : لم أشك في « آدمية » شهاب برغم اني كنت اشكو من بعض مؤيديه وانصاره الذين بدوا « شهابيين اكثر من شهاب » (٢) .

الرئيس فؤاد شهاب، النادر الكلام، النادر الهوايات، النادر الاصدقاء، النادر الظهور بين الناس حتى في المناسبات النادرة التي تفترض ظهوره ولو عبوراً . دائماً في البيت في جونه شتاء وفي عجلتون صيفاً .

الرئيس فؤاد شهاب، رجلاً رصيناً، متواضعاً، صاحب منطق سليم ونزاهة صارمة، واخلاق وطنية، كان وفيّاً، ولو ان انساناً احسن اليه لظل مدى حياته يذكر فضله، وهذه حاله مع المغربي مخيبر احمد، الاسود العملاق الذي رافقه منذ كان ضابطاً صغيراً في

١ - سامي الصلح احتكم الى التاريخ ص ٢٠٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٠١ .

اللحمة وربط التناقضات، وترسيخ الوحدة بين الفئات والمجموعات. لذلك، من البديهي ان تعتمد على الجيش، المؤسسة الأم في الوحدة وصهر اللبنانيين في بوتقة واحدة لخدمة الوطن واعلاء شأنه.

الرئيس شهاب في الرئاسة، كان في مهمة انقاذية دائمة يحاصر السياسة بالاخلاق والقيم، والعنفوان والحس الوطني السليم، وهذا ما يجعله ينتفض عند أقل هفوة للكرامة الوطنية او الشخصية. ويروي الدكتور ايلي بويز نقلاً عن عقيلته (١): « ان الرئيس شهاب كان يفضل السفر بحراً على ركوب الطائرة، خرج مرة غاضباً من غرفة الطعام الخاصة بقبطان الباخرة التي كانت تنقلهما الى مرسيليا، والحقيقة انه كانت تعلو أحد الجدران خريطة للشرق الاوسط، حيث لا وجود أسمياً عليها لمرفأ بيروت، فانبرى الجنرال سائلاً عن المقصود، من هذا التقاعس المبطن ومعتذراً عن تلبية الدعوة، وفهم بعد ذلك، ان اصحاب الشركة البحرية، ينتمون الى منظمة يهودية متطرفة. »

فؤاد شهاب لم ينصفه اللبنانيون، رحل عندما بدأوا يكتشفون تفكيره السليم في البناء للمستقبل، كأنهم استشفوا برحيله الكارثة المقبلة، او كأنهم ادركوا ان خميرة الوفاق والتعايش سقطت، او لانهم ادركوا ان الفراغ الذي تركه في السياسة اللبنانية، لن يسد لانهم عرفوا انه كان « الخيط الابيض » الذي يشد حبال الوطن، ويوصلها ببعضها بكل مهارة ودقة، لكي لا تفلت الحبال، ولكي لا يكون شدها معكوساً ومتناقضاً، مما يؤدي الى تقسيم البلاد وتشتيت الطوائف، فيصبح الوطن اوطان، والدولة دويلات، والمصير في مهب الريح. شبه رحيله، برحيل « شتراسمان » في اواخر العشرينات، صمام الاعتدال والامان في جمهورية ويمار الالمانية، وبداية السيطرة لقوى التطرف.

فؤاد شهاب، المعلم والمدرسة، لا ينجرف بالتيارات بل لديه القدرة، كما العظماء، على مقاومتها ومعاكستها، فالنهج السياسي لديه، يقوم على العقلانية، وليس على العاطفة والميل. فالاعتدال في الفكر السياسي، ومقاومة التطرف والعصبية لدى كل الفئات، أهم ما يميز هذا النهج، فلا يهتم ان يكون الاول في طائفته وبيئته، بل مصلحة لبنان، كل لبنان، وبرأيه الوحدة اللبنانية، لن يكتب لها ان تقوم الا على الولاء لوطن واحد، وليس لزعيم أو

١ - جريدة « الحديث » العدد الخاص عن الرئيس فؤاد شهاب بذكره العشرين ٢٥ نيسان ١٩٩٣ .

حزب أو طائفة، ولو كان هو هذا الزعيم، فنكران الذات والتضحية بها على مذبح الوطن، هو ما كان يبتغيه، فالوحدة اللبنانية، بالنسبة اليه ، هي سلسلة من التضحيات اليمية، والتحديات المستمرة مع اخطبوط التخلف ورواسب الطائفية ومخلفات الاستعمار. اساس نهجه السياسي، او ما يسمى بالشهابية، يكمن في هذه المعادلة : العمل على ال وحدة لوطنية، يعني العمل على الاستقلال التام الناجز ، والوحدة الوطنية والاستقلال هما واحد. فلبنان القوي المستقل، هو لبنان القائم بكل طوائفه ومناطقه وطاقاته بعدالة ومساواة. ولبنان الضعيف المستباح، هو لبنان التشرذم، حيث الطائفة - اية طائفة - تكون أقوى من الوطن، واي زعيم، اي كان هذا الزعيم، أقوى من الدولة. يقول فاضل سعيد عقل^(١): « حاول فؤاد شهاب ان يبني دولة حديثة. وهذا هو حلمه الاكبر، ولكنه فوجئ بالمقاومة وعدم التعاون، حتى من قبل الكثيرين من انصاره، وممن كانوا يتباهون بالتعاون معه. فزال الحلم الذي كان تحقيقه سينقذ لبنان... وكان يوم ١٣ نيسان المشؤوم من العام ١٩٧٥ » ويقول انطوان خويري : « النهج الشهابي لم يكن فلسفة ولا عقيدة، وانما سياسة عقلانية، واسلوب حكم وعمل، وتخطيط اقتصادي واجتماعي وانمائي لبناء دولة وانماء شعب. »^(٢)

بشاره الخوري ورياض الصلح وفؤاد شهاب من طينة واحدة ، وخط سياسي واحد، قائم على الاعتدال ومقاومة التطرف، للسير بلبنان نحو اللّحمة والوحدة. هذا المثلث الوطني كان على نهج واحد، هو بناء التعايش الاسلامي - المسيحي او ما يسمى بالصيغة اللبنانية، وقد عمل كل واحد من هؤلاء الكبار، من خلال موقعه الوطني والقيادي، وحتى ضمن الطائفة التي يمثل لترسيخ الوحدة والانصهار.

لكن الرئيس شهاب، الامير المسيحي، العربي الاصل، جمع في شخصه او نهجه ميزات وطنية، تخطت الثنائي العملاق الخوري - الصلح . فلم تكن الشهابية تمثل الخط المسيحي، أو الزعامة المسيحية، ولم تكن تمثل الخط الاسلامي او الزعامة الاسلامية، بل كان لها توجه وحدوي خاص : الرئيس شهاب مسيحي ماروني ولا ينطق بأسم الموارنة، بل يعتبره السياسيون الموارنة أقرب الى المسلمين. والمسلمون يقدرن فيه تفهمه لهم ، ومحاولته

١ - جريدة «الحديث» العدد الخاص عن الرئيس شهاب في ذاكرة العشرين ١٥ نيسان ١٩٩٣

إزالة الغبن اللاحق بهم وبمناطقهم . لهذا كانت « الشهابية » جزر صغيرة في محيط الوطن تحاصرها أمواج العصبية والحزبية والطائفية .

ويُلخص « الشهابية » بكل بساطة الكولونيل غابي لحود (١) في دردشة صحافية : « فؤاد شهاب معلم، يجسد التجرد في التفكير والارتفاع فوق كل عاطفة شخصية، او نزعة عابرة . علمنا تسلسل الافضليات : البلاد قبل الجيش، والجيش قبل الفرقة، والفرقة قبل الشخص . والشهابية مدرسة . اسلوب تفكير واسلوب عمل : طَبَّقها في الحقل العسكري تجد الجيش النظامي الذي يحمي الديموقراطية، طَبَّقها في التصميم تجد دراسات الاب لوبريه، وفي القضاء تجد معهد القضاء، وفي المالية البنك المركزي وتحرير النقد، وفي الإدارة مجلس الخدمة والتفتيش المركزي » . . . « نحن نرى في شهاب الكمال النسبي . وانا شخصياً اعتقد ان النادرين من الرجال هم الذين تتجسد فيهم مجموعة الصفات المتجسدة في الرئيس شهاب . وهذا سبب تعلق جنبلاط به، وكذلك بيار الجميل، حتى ريمون اده لم يكن أمامه مجال ليمارس مسؤولياته في جو أفضل من الجو الذي مارس السلطة فيه ايام الرئيس شهاب . والشهابية ليست حزباً بل نهج تفكير . وهي ان يفكر الشخص تفكير شهاب وهذا ليس سهلاً . لكن ايجاد الذي يفكرون مثله قد يكون اسهل من ايجاد القادرين على تطبيق تعاليمه » . . . « وبعض الذين عملوا مع فؤاد شهاب لم يكونوا يعرفونه، ولكنهم عندما عرفوا طريقة تفكيره واسلوبه في العمل صاروا شهابيين حتى الموت . » (٢)

غاب فؤاد شهاب وخلف وراءه تياراً سياسياً وفكرياً ووطنياً، وهذا التيار أو النهج يتوزع بين السياسيين والناس، والنظرة الى دولة المستقبل الموحدة، القائمة على العدالة الاجتماعية والتخطيط، سيكون في اساس قيامها التراث الوطني أو المدرسة التي خلفها اسلوب وفكر الرئيس فؤاد شهاب .

١ - غابي لحود من بيت الدين، تخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٥٢، تعرّف على الرئيس شهاب عام ١٩٥٦ عندما طلب موعداً لمقابلة الجنرال شهاب قائد الجيش، من أجل ان يسمح له بالزواج من فرنسية . فنصحته بعدم الزواج من اجنبية وقال له : مثلي (زواجه من اجنبية) لا يمكن تطبيقه على الجميع . فليس الضباط الذين تزوجوا من اجنبيات موفقين .

٢ - شبكة الصياد الكتاب السنوي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ ص ٥٧ .